الباب الخامس

المسلمون في بلاد القوقاز

- الجمهوريات الإسلامية في القوقاز .
- جمهوريات ما وراء القوقاز .
- الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية لإقليم القوقاز .
- القوقاز عبر العصور الإسلامية .

الباب الخامس

المسلمون في بلاد القوقاز

(بلاد الجبال الثلجية)

الأرض والمكان :

بلاد القوقاز هي البلاد المحصورة ما بين بحر قزوين في الشرق والبحر الأسود في الغرب ، أطلق عليها العرب قديما اسم القبجاق ، يفصل بعض أجزائها الجنوبية عن إيران ، نهر أرس ، ويفصل جبل أرارات البعض عن أرمينيا التركية .

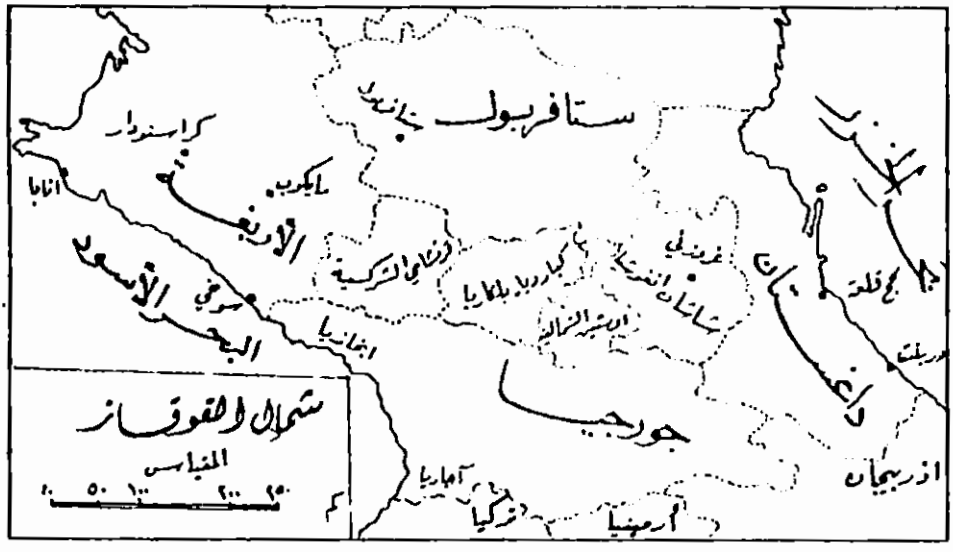

عن محمود شاكر ــ العالم الإسلامي ــ المكتب الإسلامي

وإقليم القوقاز عبارة عن مجموعة من المرتفعات والمنخفضات ، نشأت في المنخفض الألبي الذي تعرض للحركات الالتوائية التي نتجت عنها مرتفعات القوقاز العظمى ، وإلى جنوبها مرتفعات القوقاز الصغرى ، التي تنتهي جنوبا بالحدود السياسية مع إيران وتركيا . وتعد هذه السلسلة خطا دفاعيا استراتيجيا قويا عن قلب الأمة المسلمة من جهة الشمال .

تمتد المرتفعات الالتوائية الضخمة بين البحر الأسود وبحر قزوين ، من الشمال الغربي من المضيق الذي يفصل بحر أزوف عن البحر الأسود ، إلى الجنوب الشرقي حيث تمتد شبه جزيرة أبشيرون في بحر قزوين عند باكو ، ويصل ارتفاعها إلى ٥٦٢٩ مترا في قمة البروز في الوسط حيث الحد الفاصل بين قارتي آسيا وأوروبا ، وهو خط تقسيم المياه .

وتتحدر السفوح الشمالية لهذه المرتفعات ، نحو منخفض يجري فيه نهر كوبان الذي يصب في البحر الأسود ، ونهر كوما ويصب في بحر قزوين ، وينتهي هذا المنخفض شمالا حيث الدلتا التي كونها نهر الفولجا . والسفوح الجنوبية لمرتفعات القوقاز أكثر وعورة ، وتنتهي غربا بمنخفض كولخيدا على البحر الأسود ، ويجري فيها نهرا ريوني وانحوري ويصبان في البحر الأسود ، كما تنتهي السفوح الجنوبية في الجنوب الشرقي بمنخفض يشغل نهر كورا ورافده اراكس ، ويصب في بحر قزوين .

والجدير بالذكر أن التركيب الجيولوجي لطبقات هذه المرتفعات يحتوي على النفط والغاز الطبيعي والفحم والحديد الخام والنحاس والمنجنيز والرواسب المحتوية على الأسمنت .

ومنطقة القوقاز غنيه بالأنهار التي تصلح للرى والملاحة ، منها ما يصب في بحر قزوين مثل أنهار كوما وترك وكورا وفرعه اراكس ، ومنها ما يصب في البحر الأسود مثل أنهار ريوني ،وانجوري ، وكوبان وتعتبر المنطقة سلة الخبز للروس لوجود الأراضي الزراعية الخصبة .

الجمهوريات الإسلامية في القوقاز

يضم إقليم القوقاز جمهوريات ذات حكم ذاتي تدخل في نطاق روسيا الاتحادية، وهي: الشيشان ــ أنجوشيا ، وداغستان ، وأوسيتيا الشمالية ، وكباردبا بلكاريا ،وهذه تقع جميعا في القوقاز الشمالي ، أما جورجيا ، وأذربيجان ، وأرمينيا فهي جمهوريات ما وراء القوقاز ، نالت استقلالها بعد انهيار الاتحاد السوفييتي السابق ، وأصبحت دولا أعضاء في الأمم المتحدة.

داغستان :

وهى بلاد جبلية تقع على الأجزاء الشرقية من جبال القوقاز ، التي تطل على ساحل بحر قزوين الغربي ، وتشكل الجبال نحو ٦٠% من مساحتها ، التي تبلغ نحو ٥٠٣٠٠ كيلو متر مربع ، وتقطعها عدة أنهار أهمها نهر ترك ، الذي يصب في بحر قزوين قادما من جمهورية كباردينو بلكار ، ونهر صولاق ويمر شمال مدينة محج قلعة العاصمة الداغستانية ، ووديانها شديدة الانحدار ضيقة ، ومع ذلك فهناك سهل ساحلي ضيق بين بحر قزوين وجبال القفقاس .

ويبلغ عدد سكانها ١,٨٠٠,٠٠٠ نسمة حسب احصاء ١٩٨٩م ينتمون إلى عدة قوميات أهمها القوقازي والتركي والإيراني والسلافي ، و٨٥% منهم مسلمون على المذهب السني ، ويمثل الروس الأرثوذكس ١٣% من جملة السكان ، ويتحدثون بلغات

عدة بالإضافة إلى اللغة العربية لغة العلوم الإسلامية التي يتعلمها المسلمون بهدف دراسة أحكام الإسلام وتعاليمه من مصادره الرئيسية القرآن والحديث.

وتطل داغستان بساحل طويل على الساحل الغربي لبحر قزوين ، وتشترك في حدودها البرية مع أذربيجان من الجنوب ، ومع الشيشان ، وجورجيا ، وستافربول الروسية من الغرب ، وتشترك في حدود بحرية مع إيران وتركمانستان ، وكازاكستان.

الفتح العربي الإسلامي :

بعد أن أتم العرب المسلمون فتح بلاد فارس ، توجه سراقة بن عمرو وعبر أذربيجان الى مدينة دربند التي سماها العرب باب الأبواب ، وفتحها عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي بعد مقتل سراقة بن عمرو رضي الله عنه في عام ٢٢ من الهجرة ٦٤٣م. ثم توالت فتوحات المسلمين في بلاد القفقاس ، ولكن معارك المسلمين مع يهود الخزر استمرت بين كر وفر حتى عام ٣٥من الهجرة ٦٥٦م واستشهد عدد من الصحابة رضوان الله عليهم في المنطقة التي تقع بين دربند وناركو ، وأجبروا الخزر على الخروج من المنطقة .. استشهد أربعون من قادة الفتح العظام ، منهم أمراء الفتح عبد الرحمن بن ربيعة وأخيه الشهيد سامان بن ربيعة ، وسراقة بن عمرو ، وكذا أسيد بن حضير ، وبكير بي عبد الله ، ودفنوا في مقبرة بالقرب من مدينة دربند ، يزورها المسلمون من شتى البلدان.

الجدير بالذكر أن داغستان ، قام الجيش العربي الإسلامي بفتحها فيما بين عامى ٦٣٦و٦٤٦ م . في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وفي مرحلة لاحقة من الفتح الإسلامي، استقر الحكم الإسلامي في عهد الأمويين بعد أن انتصر المسلمون على يهود الخزر ، وتولي مروان بن محمد أمر القفقاس عام ١١٧ من الهجرة ٧٣٤م وعمل على توطيد حكمه بتعزيز فتوحاته وتوطين المسلمين ،ووصل إلى دربند مسلمة بن عبد الملك ، وأسكن فيها نحو ٢٤ ألفا من سكان سوريا ، وقسم المدينة إلى أحياء للوافدين من الشام وحمص ودمشق وعرب الجزيرة .

وفي عهد العباسيين ازدهرت داغستان خاصة بعد زيارة الخليفة هارون الرشيد وزوجته السيدة زبيدة ، مدينة باب الأبواب عام ١٧٣من الهجرة ٧٣٩م . وفي فترات لاحقة بسط الأتراك السلاجقة سيطرتهم عليه ، ثم غزتها قوات المغول واحتلت القفقاس عام ١٢٢٣م بعد حروب شديدة ، وأصبحت المنطقة فيما بعد مسرحا للمعارك بين الصفويين الشيعة في إيران والعثمانيين السنة في تركيا ، وقد ارتكب الصفويين مذابح كبيرة ضد سكان بلاد القفقاس السنيين لإجبارهم على التشيع مما دفع القفقاس للاتصال بالدولة العثمانية لإنقاذهم من ظلم الصفويين .

الغزو الروسي والمقاومة الإسلامية :

وبعد أن تخلى عنها الفرس عام ١٧٢٣م ، قام الروس بضمها إلى الدولة الروسية عام ١٨١٣م ، فخاض الداغستانيون حرب العصابات ضد القوات الروسية من عام ١٨١٧م : ١٨٦٤م ودوخوا المستعمرين الروس أثناء حكم القياصرة ، إذ أدى الغزو الروسي لبلاد القفقاس إلى اندلاع حركة وطنية إسلامية ،عرفت بالمريدية تولى زعامتها ثلاثة من الأئمة العلماء هم : الغازي محمد ، وحمزات بك ، والإمام شامل الأفاري ، والتفت الشعوب القفقاسية حولهم ، وكان هدفهم حماية البلاد من العدوان الروسي ، وترسيخ أحكام الإسلام في نفوس المسلمين وتربية روح الجهاد .

واستمرت ثورات الداغستانيون ضد البلاشفة بعد قيام الثورة الشيوعية عام ١٩١٧ م للدفاع عن القفقاس بقيادة الشيخ سعيد شامل ، والشيخ أوزون حاجي ، فبدأت الحكومة السوفيتية الشيوعية في تطبيق سياسة الترويس بقتل رجال العلم والدين والزعماء الوطنيين، وتنفيذ سياسة الترويس على الثقافة والتعليم ، وعمليات تهجير ونفي المسلمين إلى سيبيريا ، وتوطين الروس بلادهم .

أصبحت داغستان بعد تفكك الامبراطورية الروسية عام ١٩٩١م جمهورية ذات حكم ذاتي في إطار روسيا الفيدرالية .

وتشتهر داغستان بزراعة الخبوب والفاكهة والخضروات و تربية الماشية ، وتعد الثروة النفطية والغاز الطبيعي والفحم والثروة المعدنية من أهم الموارد الاقتصادية . وهذه الجمهورية هي بلد الإمام شامل ، البطل الذي قاد حربا ضارية ضد الروس ، وهي مقر الإدارة الدينية لمسلمي ماوراء القفقاز .

جمهورية الشيشان ـ انجوشيا

(إيتشكيريا الشيشانية)

الأرض والشعب :

تقع جمهورية إيتشكيريا الشيشانية في القسم الشمالي الشرقي من جبال القوقاز ، على جانبي نهر تبرك ويحدها من الشرق جمهورية داغستان ، وجيورجيا من الجنوب ،وستافروبول الروسية من الشمال وأوستينيا الشمالية من الغرب .

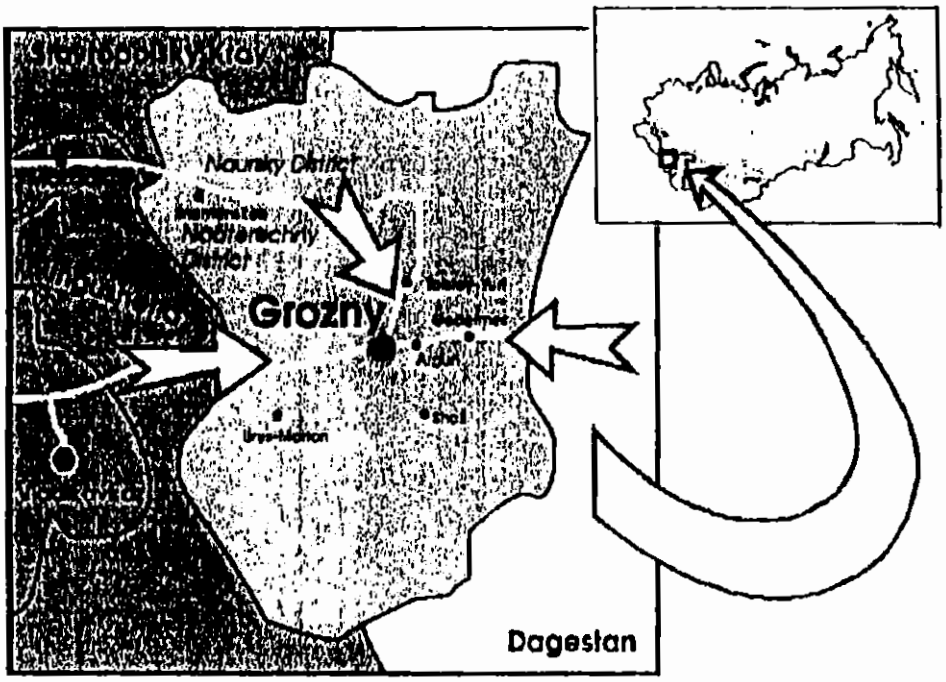

خريطة جمهورية الشيشان

ساعد موقعها هذا في السفوح الشمالية لجبال القوقاز على جعل الماء يتدفق إليها من الجبال ، وتشكل الأنهار الكثيرة التي ترفد نهر ترك الذي يخترق أرض الشيشان ويعد من أهم أنهار القوقاز ، ولذا فإن أرضها تشتهر بخصوبتها ووفرة الزراعات بها ، بالإضافة إلى وفرة الثروة المعدنية ولا سيما البترول ، الذي تتوفر حقوله بالقرب من جروزني العاصمة ، وتبلغ مساحة جمهورية الشيشان ١٩,٣٠٠ كيلو متر مربع ،أغلبها أراض خصبة تجود فيها زراعة عدد كبير من المزروعات والمحاصيل ، وكان لوفرة المياه أثر كبير في ازدهار الحياة الزراعية ، ويزرع الشيشانيون حاصلات الجهات الدفيئة والمعتدلة والباردة ، فالمناخ بارد شتاء معتدل الحرارة صيفا ، وهذا المناخ جعل الروس يولون عنايتهم لهذه البلاد ، لاستثمارها وإنتاج ما يحتاجون إليه من منتجات زراعية . كما تتوفر المراعي بكثرة في أرض الشيشان في السفوح الجبلية ، لذلك تعد الثروة الحيوانية مصدرا من مصادر الدخل في البلاد ، وتوجد في الشيشان ثروة هائلة من الثروة المعدنية أهمها البترول وتتركز حقوله بالقرب من العاصمة جروزني ويمتد حتى شمال داغستان وينقل بالأنابيب إلى مصانع التكرير في العاصمة . ويبلغ إنتاج الشيشان من النفط حوالي ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ طن سنويا ، ويمثل البترول أعظم مصادر الثروة في البلاد ، وتقوم عليه العديد من الصناعات ، كما تحوي أرض الشيشان كميات كبيرة من احتياطي النفط . وقد

عبر أحد الشيشانيين عن غنى البلاد بالنفط بقوله : " **يكفي أن تضرب بالمعول في أي جزء من أرض بلادنا لتجد النفط يتدفق من تحت قدميك** "

وتقام بالشيشان صناعات هامة منها الصناعات البتروكيماوية والصناعات الحديدية والعسكرية ، وصناعات الأجهزة الطبية والكهربية ، ومعدات البناء والأسمنت والجرارات، وصناعة المنسوجات القطنية والصوفية ، والصناعات الغذائية وغيرها .

السكان :

ويقدر عدد سكانها بنحو ١،٢٨٩،٠٠٠ وهذا العدد لا يشمل كل الشيشانيين ، بل هناك مائة ألف نسمة يقيمون في تركيا وأكثر من عشرين ألف يعيشون في بلاد الشام ، ونحو خمسون ألفا في داغستان ، هذا بالإضافة إلى أعداد كبيرة أخرى تعيش في الدول المجاورة لهم ، وهم جميعا من المسلمين السنة ، وتبعا لسياسة التروبس أصبح غير المسلمين يمثلون نحو ٣٧% من جملة السكان

الفتح الإسلامي :

شق الإسلام طريقه إلى قلوب الشيشان منذ الفتوحات الإسلامية الأولى ، ورحب به أهل الشيشان لعدله وسماحته وإنصافه ، وانتشر بينهم بعد أن غمرهم المسلمون بكرمهم ، وأحسنوا إليهم .

ارتضى أهل الشيشان بحكم المسلمين العادل ، بعد أن وجدوا أن المسلمين لا يستهدفون امتلاك الثروات والأراضي وغير ذلك من متاع الدنيا ، وإنما كان هدفهم الأسمى تحرير الناس من عبادة العباد إل عبادة رب العباد ، وتخليص البلاد من غاصبيها وإعطائها لأبنائها ، وقبل ذلك إيصال دعوة الحق والهدى والرشاد .

وترك المسلمون أهل الشيشان أحرارا في أن يؤمنوا أو لايؤمنوا ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة٢٥٦ ولم يجبروا أحدا على الدخول في الإسلام ، أو على ترك دينه ، وإنما كانوا يوضحون للناس مزايا الإسلام ومحاسنه وسماحته وعدله ومساواته بين جميع الناس حكاما ومحكومين ،وأنه خير الأديان ، جاء لسعادة البشرية والنهوض بها .

لهذا مال أهل الشيشان إلى الإسلام وتقربوا من المسلمين وارتضوا حكمهم على غيرهم ، ونعم المزارعون بثمار كدهم وجهدهم ، بعد أن كان النظام البيزنطي السائد من قبل قاسيا معهم للغاية ، حيث كان النبلاء والأمراء يأخذون نتاج الأرض ولا يتركون للفلاحين شيئا ، بالإضافة إلى أنهم كانوا يعاملونهم كعبيد للأرض .

وجد أهل الشيشان أن المسلمين يختلفون تماما عن حكامهم السابقين ، فـــلا إكـــراه لأحد على ترك دينه ، ولا قتل ولا مصادرة ثروات ، بل إصلاح وتعمير للبلاد ونـــهوض بالمستوى المعيشي لأبنائها .

ونعم أهل الشيشان بالحكم الإسلامي أحقابا طويلة ، ثم كـــان الاحتـــلال الروســـي لبلادهم عام ١٨٥٠م .بعد ملاحم جهادية خاضتها شعوب القوقاز ضد الحكم القيصـــري . ومن بعده الحكم الشيوعي البلشفي .

بعد قيام الثورة البلشفية عام ١٩١٧م وعلى إثر انتصارها نالت الحكم الذاتي ، وفـي عام ١٩٣٦م أصبحت الشيشان جمهورية ذات استقلال ذاتي ضمن روســـيا الاتحاديـــة ، تسمى باسم الجمهورية الشيشانية الأنجوشية السوفييتية الاشتراكية ، وتتكون من عنصريـن هما الشيشان والأنجوش ، وفي عام ١٩٩١م أعلن الشيشان انفصالهم عن روسيا ، بينمـــا ظل الأنجوش تابعين للروس خوفا من بطشهم . وتشكلت الجمهوريـــة الأنجوشـية عـام ١٩٩٢م واعترفت بها روسيا على الرغم من أنه ليس لديها حدود محددة مع الشيشـــان ، وليس لديها برلمان . ويبلغ عدد سكان أنجوشيا حوالي ٣٠٠٠٠٠نسمة ، والأنجوش قوميـة قوقازية وهم على قرابة إثنية مع الشيشان .

حملة التنكيل والتهجير الظالمة عام ١٩٩٤م:

تعرض الشعب الشيشانى عام ١٩٩٤م لحملة تنكيل وتهجير ظالمة ، حيـث.جـرى ترحيله بالكامل إلى سيبيريا وغيرها من المناطق النائية ، مما أدى إلى هلاك ما يزيد على ثلث مليون شيشانى ، أى حوالى نصف تعداد السكان الشيشانيين حينذاك.

وفى الوقت الذى بلغ فيه قبيل عام ١٩١٨ عدد المساجد ٢٢٣٦ مســـجدا، وكـــانت هناك أكثر من ١٤٠ مدرسة عربية ودينية ن شهدت الأربعينات عملية اغـــلاق واهمـــال متعمدة لها ، بهدف طمس تراث ذلك الشعب ، وتمزيق روابطه وصلاته الروحيـــة مـــع شعوب الشرق الإسلامى.

ويشكل المسلمون ــ أبناء القومية الشيشانية ــ أكثر من ٦٠% من تعـداد الســكان فىالجمهورية الأمر الذى يضفى شرعية لا يتنازع عليها من أجل اســتعادة تـــاريخ هـــذا الشعب وتراثه وروابطه مع العالم الإسلامى والبلدان العربية.

كاباردبا بلكاريا :

تقع على المنحدرات الشمالية للقوقاز الكبير (جبل البروز أعلى قمة فـــى القوقـــاز ٥٦٤٢ متر) وتشغل القسم الأوسط من القوقاز الشمالي وهي منطقة على ثلاثة مســـتويات مختلفـــة الارتفـــاع ، الوديـــان وســـفوح المرتفعـــات ثـــم المرتفعـــات ، مســـاحتها

١٢٥٠٠كيلومترمربع ، وعدد سكانها نحو ٧١٥٠٠٠نسمة ، وأصبحت جمهورية ذات حكم ذاتي عام ١٩٣٦م ، ومعظم الكاباردبين مسلمون ، تعرضوا عام ١٩٤٤م للاضطهاد الستاليني الروسي ، وأبعد فريقا كبيرا منهم جمهوريات آسيا الوسطى ، ثم بدأوا يعودون إلى جمهوريتهم عام ١٩٥٧م فى عهد خرتشوف ، واضطروا إلى دفع تعويضات لاستعادة بيوتهم وممتلكاتهم.

الأديغيا :

تقع شمال القوقاز السهلي قرب ساحل البحر الأسود ، مساحتها ٧٦٠٠كيلومترمربع، وعدد سكانها نحو ٤٥٠٠٠ نسمة منهم ١٢٥٠٠٠ نسمة من الشركس والباقون من الروس والأوكرانيين والقوزاق والأرمن ، وأصبحت جمهورية ذات استقلال ذاتي في يناير ١٩٩١م .

وتتمثل ثروة أديغيا الرئيسية فى الغاز الطبيعي الذي يكمن في أراضيها ، وتنتج نحو ٨٠ مليار متر مكعب ، وتقوم عليه صناعات استخراج الغاز ومعالجته ، كما تقوم صناعات الأسمدة والأثاث ومواد البناء ، ومعدات استخراج النفط والأجهزة الكهربائية ، وتنتج المقاطعة الحبوب والنباتات الزيتية ، والعنب والشاى والتبغ ، وتصدر كثيرا من الخضروات والفاكهة المعلبة .

وقبائل الأديغ من القبائل التي سكنت منذ غابر الزمان ساحل البحر الأسود ، وجبال القفقاز ، ووديانها . فرضت روسيا حمايتها عليها عام ١٥٥٢م ، وبعد مواجهة عنيفة بين الإسلام والأرثوذكسية الروسية ، طردت السلطات الروسية الجزء الأكبر من أبناء الأديغة، فانتقلوا إلى تركيا والدول الإسلامية المجاورة ، واستوطن الروس البلاد ، وبعد الثورة البلشفية أصبحت عام ١٩٢٢م جمهورية ذاتية الحكم .

وبعد أن رفعت القيود التي كانت مفروضة على الدين الإسلامي ، عام ١٩٨٩م انطلقت النهضة الإسلامية ، فبعد أن كانت المساجد تعد بعدد أصابع اليد تحولت المنطقة إلى ورشات عمل لبناء المساجد وترميمها .

كرانشيا شوكسيا :

تقع على السفوح الشمالية من جبال القوقاز الكبير جنوب روسيا ، تجاورها من الجنوب جمهورية جورجيا ، ومساحتها ١٤١٠٠ كيلومترمربع ، وعدد سكانها نحو ٤٣٠٠٠٠نسمة ، وينتمون إلى قوميات وأعراق ولغات مختلفة ، وتضم أراضيها ثروات زراعية وحيوانية وغابية متعددة ، وتقوم بها صناعات عدة ، وتتوافر بها منابع المياه

المعدنية ، والطبيعة الجذابة والمناخ الشافي الذي يجعل منها مكانا للعلاج والاستجمام والسياحة.

وأصبحت كراتشيا عام ١٩٩١م جمهورية ذات حكم ذاتي ضمن روسيا الاتحادية .وكان الكرتشاى ممن اتهمهم ستالين بالخيانة والتحالف مع الألمان في الحرب العالمية ونفاهم إلى سيبيريا . وفي عام ١٩٥٧م أعيد الاعتبار لشعب الكرتشاى وعاد أبناؤه إلى مسقط رأسهم.

أوسيتيا الشمالية :

تقع في أول سلسلة جبال القوقاز الكبير في وسط شمال القوقاز ، وتنحصر بين الشيشان من الشرق وكباردياس من الغرب ، وتبلغ مساحتها نحو ٨٠٠٠كيلومترمربع ، وعدد سكانها ٦٣٤٠٠٠نسمة أكثرمن نصفهم مسلمون ، وهي اليوم جمهورية ذات استقلال ذاتي في إطار روسيا الفدرالية ، وقد قسم الروس أوستينيا إلى أوستينيا الشمالية وتتبع روسيا اللاتحادية ،وأوستينيا الجنوبية وتتبع جورجيا الاتحادية ذات الأغلبية النصرانية .

جمهوريات ما وراء القوقاز

يطلق ما وراء القوقاز على جمهوريات أذربيجان ، وأرمينيا ، وجورجيا ، وهي جمهوريات اتحادية كانت تكون مع اثنتي عشرة جمهورية أخرى ما يسمى بالاتحاد السوفيتي ، وعقب انفراط عقده وتفككه وانهياره عام ١٩٩١م ، نالت استقلالها .

جمهورية أذربيجان الاتحادية :

تقع أذربيجان إلى الجنوب من داغستان وجورجيا على الحافة الجنوبية لمرتفعات القوقاز الصغرى ، وتطل على الساحل الغربي لبحر قزوين ، تبلغ مساحتها ٨٦٠٠٠ كيلومترمربع ، وعدد سكانها ٧٠٢٩٠٠٠ نسمة والعاصمة باكو ، ومعظم السكان من الأتراك ٧٥% منهم من أهل الشيعة ، والنسبة الباقية من أهل السنة ويتحدثون اللغة التركية .

انضمت أذربيجان عام ١٩٢٠م إلى الإتحاد السوفييتي ، بعد أن أفقدها الجيش الأحمر الروسي استقلالها التام الذي كانت تتمتع به .

مشكلة ناجورنو كاراباخ :

يتبع إقليم ناجورنو كاراباخ جمهورية أذربيجان ، ويفصله عن أرمينيا شريط بري ضيق ، وتبلغ مساحته ١٧٠٠ميل مربع ، وعدد سكانه ٢٠٠٠٠٠نسمة ، ويشكل

المسلمون نحو ربع السكان _ فقد توطن الحكم الإسلامي في هذا الإقليم منذ عام ٢٥مـــن الهجرة ، وظلت هوية الإقليم هوية إسلامية حتى عام ١٩٢٣ م _ والباقون أرمن نصارى، لذلك يقوم الصراع بين أرمينيا وأذربيجان لرغبة أرمينيا في انتزاعه من أذربيجان .

شنت أرمينيا هجماتها على الإقليم واحتلت بمساندة الروس الأراضي الأذربيجانيـة ، بعد أن أمدت روسيا الأرمن بأحدث الأسلحة ، مما جعل الأرمن يحققون انتصارات كبـيرة على الأذربين ، و يعمدون إلى سياسة التطهير العرقي وطرد المسلمين من الأراضي التـى احتلوها في أذربيجان ، وما زال التوتر قائما .

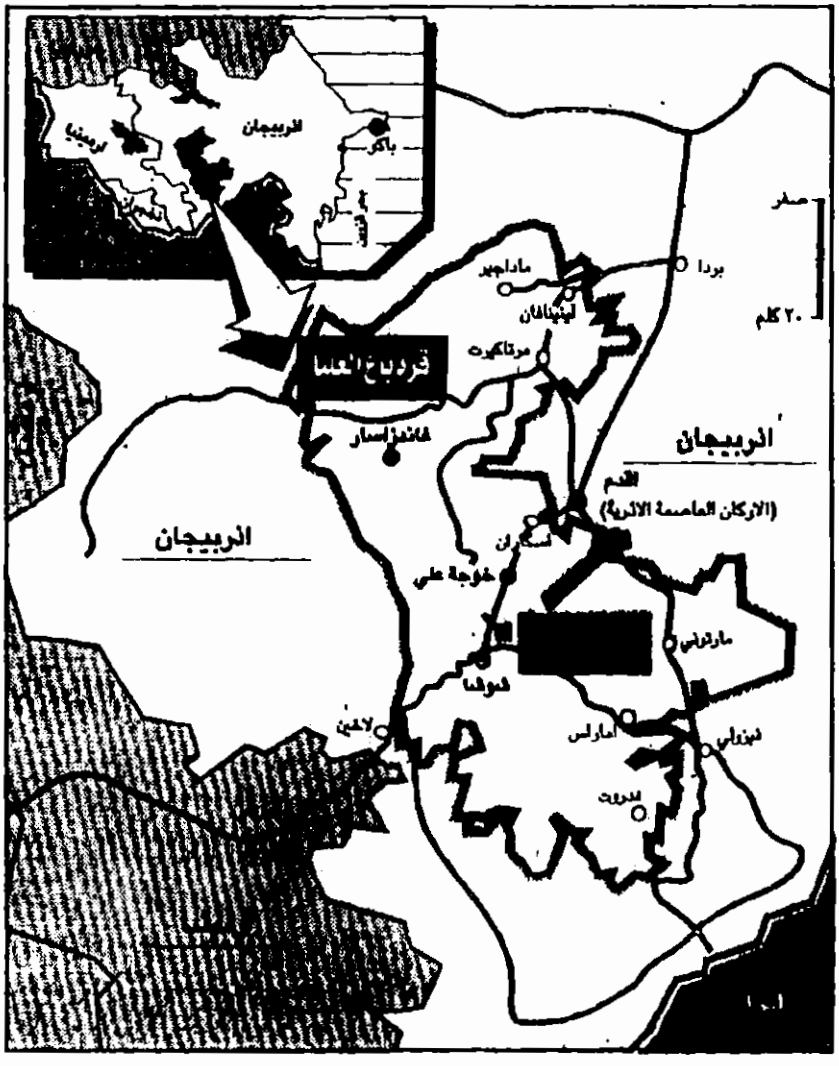

وحول أحداث أذربيجان وأرمينيا يقول الشيخ محمد صادق رئيس إدارة مسلمى ما وراء النهر: " إن المشكلة قديمة ، وقد كشف الأرمن عن نواياهم الحقيقية فى قره باخ إذ يهاجمون القرى الأذربيجانية ويقتلون النساء والأطفال .. بعد أن تلقوا دعما كبيرا من جهات متعددة لمحاربة المسلمين"

لم تقتصر الأطماع الأرمينية على قره باخ، التى قتل وشرد المسلمون من سكانها ، ودمر العديد من مدنها وقراها ، وربطهم المقاطعة الجبلية وسط أراضى أذربيجان بأرمينيا بشريط أرضى يصل ما بينهما فقامت ارمينيا بفتح جبهة ناختشيفان التى تتبع لأذربيجان ولا حدود لها معها بل مع ارمينيا وتركيا وإيران .

لقد التقت المصالح الروسية مع الأمريكية فى المنطقة، فالعداء الروسى الأذربيجانى عداء موروث عن الشيوعية المنهارة، لذلك كان الدعم العلنى والسرى الذى تتلقاه أرمينيا من روسيا، ووجدت الولايات المتحدة الأمريكية فى أرمينيا حليفا طبيعيا لها، وهى تعمل على إيجاد مرتكزات جديدة فى المنطقة ليستمر استنزاف طاقات المسلمين.

جمهورية أبخازيا :

تقع أبخازيا ذات الحكم الذاتي في شمال غرب جورجيا ، وتطل على البحر الأسود على الطريق الساحلية الموصلة إلى جورجيا .وهى إقليم ذات موقع استراتيجي شهير بمنتجعاته واستراحاته السوفييتيه، ضمتها روسيا عام ١٨١٠م وفر الكثيرون منهم إلى تركيا أثناء لغزو الروسي لغرب القوقاز في منتصف القرن التاسع عشر . وتبلغ مساحتها ٨٦٠٠ كيلومتر مربع وعدد سكانها ٥٣٧٠٠٠نسمة ، ويشكل المسلمون ٨٠%من جملة السكان وهم من أهل السنة . والأبخاز أصلا من سكان القوقاز القدامى، غزاهم العرب في القرن الثامن الميلادي ونشروا الإسلام بينهم .

بعد قيام الثورة البلشفية عام ١٩١٧م انفصلت أبخازيا عن روسيا وأعلنت ارتباطها باتحاد القوقاز الجبلي الذي ضم الأديغة والقبرطاى والشيشان وداغستان ، وفي عام ١٩٢١م احتلت جورجيا أبخازيا وتحت ضغوط من ستالين ، ثم تحولت إلى جمهورية ذات حكم ذاتي ،وبقي الوضع على حاله حتى انهيار الاتحادالسوفييتي وزوال جمهورياته السابقة ، وفي عام ١٩٩٢م دخلت قوات جورجيا سوخومي عاصمة أبخازيا بحجة القضاء على أنصار الرئيس خمسا خورديا ، فقاوم الأبخازيون وسقط المئات من الجرحى ،وتوافد المتطوعون من كل أنحاء شمال القوقاز لصلات القربى التى تربط شعوب جنوب روسيا بالأبخاز ،لذلك أعلنوا التعبئة العامة لنجدتهم وشاركوا في المعارك ضد الجورجيين وضدالروس ، وشنوا حرب استقلال أدت إلى استرجاع النصف الشمالي من أبخازيا، وتدخل الروس بحجة حماية الأقلية الروسية ، ولكنهم يسعون إلى إرجاع أبخازيا إلى

حضن الاتحاد الروسي لوقوعها على الطريق الموصلة إلى جورجيا ، وتنفيذا لاستراتيجيتها القائمة على إحاطة منطقة القوقاز التي باتت تعيش على فوهة بركان ينذر بانفجار كبير .

جمهورية الآجار :

تقع جمهورية الآجار في جنوب غرب جورجيا ،وتطل على البحر الأسود ، وتبلغ مساحتها ٣٠٠٠ كيلومترمربع ، وعدد سكانها ٣٩٣٠٠٠نسمة ، والآجار ينتمون إلى سكان القوقاز القدامى اثنولوجيا، انتشر الإسلام بينهم عن طريق العثمانيين ، وهم مسلمون على المذهب السني .

جمهورية أرمينيا :

تقع أرمينيا إلى الشمال من إيران ، وتشترك في حدودها الشرقية مع أذربيجان، ومع جورجيا من الشمال ،ومع تركيا من الغرب . تبلغ مساحتها ٣٠٠٠٠ كيلو متر مربع، ويقدر عدد سكانها بنحو مليوني نسمة ، دخلها الإسلام على يد حبيب بن مسلمة الفهرى، رضى الله عنه ، بأمر من معاوية بن أبى سفيان ، في عهد عثمان بن عفان ، رضى الله عنهم ، وشارك فى الفتح كل من سعيد بن العاص ، وسلمان الباهلي، حيث نجحوا في الوصول إلى شواطئ البحر الأسود ، بعد جهاد طويل ضد الصليبيين الروم والأرمن .

عاش الأرمن مع العرب منذ بداية التاريخ ، ويقال أن جذورهم تمتد إلى أيام الفراعنة ، وأن الملكة نفرتيتى وشجرة الدر من أصل أرمنى ، والمعروف أن أرمينيا كانت ضمن الامبراطورية العربية فى القرن السابع الميلادى واستوطن المئات منهم فى البلاد العربية خاصة لبنان وسوريا ومصر .

كانت أرمينيا مملكة قديمة تقع جنوب غرب آسيا ولم تكن لها حدود تاريخية ثابتة ، وقد امتدت هذه المملكة في قمة توسعها من جنوب وغرب جبال القوقاز إلى أجزاء من سوريا والعراق جنوبا ومن البحر الأسود فى الغرب إلى البحر الأبيض المتوسط فى الجنوب الغربي وإلى بحر قزوين فى الشرق إلا أن أرمينيا التاريخية لم تعمر طويلا وسقطت في يد الرومان وظلت بعد ذلك موضع صراعات الإمبراطويات التى تعاقبت على حكم المنطقة حتى عام ١٩٢٠ حين تأسست جمهورية أرمينيا السوفياتية على أجزاء من أراضى ارمينيا التاريخية بينما ضمت تركيا القسم المتبقي من أراضيها .

وتشتهر أرمينيا بأنها بلاد الأنهار العظيمة التى تنساب مع جميع الجهات وأشهرها نهر دجلة والفرات ، ويمتدان إلى العراق ، وتمتلئ أرضها بالثروات.

الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية لإقليم القوقاز

تقع منطقة القوقاز بين قارتي آسيا وأوروبا ، وتعد حلقة الوصل بينهما إذ تعتبر الطريق البري الوحيد لقارة أوروبا نحو آسيا والشرق الأوسط من حدودها الجنوبية الشرقية ، كما أن بحر قزوين والبحر الأسود اللذين تقع منطقة القوقاز بينهما ، تصب فيهما معظم أنهار أوروبا مثل الفولجا والدون والدانوب والدنيبر والدنيستر .كما تعد المنطقة بأنهرها وبحارها حلقة الوصل البحرية بين القارات الثلاث آسيا وأوروبا وأفريقيا، وبالإضافة إلى أهمية المنطقة الزراعية كسلة خبز للاتحاد السوفييتي السابق ومن بعده روسيا الاتحادية ، فإنها غنية بالنفط خاصة جمهوريتي الشيشان وأذربيجان ، وبعد استقلال أذربيجان ازدادت أهمية بترول الشيشان لكونها تزود روسيا بمعظم وقود الطائرات المدنية والعسكرية ، وبالرغم من أن بترول جمهورية الشيشان من حيث الكمية مقارنة بأذربيجان أو حقول النفط في كازاكستان ، إلا أن نوعية بترول الشيشان ووجود مصافي النفط فيها يجعلها ذات أهمية كبيرة لروسيا الاتحادية .

ومما يزيد من أهمية القوقاز اقتصاديا ، أن موانئ روسيا الاتحادية على البحر الأسود ، وهي منافذ التصدير البحري ، تقع في هذه المنطقة ، وتتمتع جمهورية الشيشان بوضع فريد من هذه الناحية ، حيث تمر بأرضها أنابيب تصدير النفط الأذربيجاني وكذلك نفط كازاخستان وسيبيريا وتتارستان عبر موانئ البحر الأسود . كما أن جمهورية الشيشان لديها كميات كبيرة وضخمة من الغاز الطبيعي الذي تفتقر إليه بقية جمهوريات شمال القوقاز ، تنفرد روسيا باستغلاله لتجعل الجمهوريات الأخرى تحت رحمتها من حيث مصادر الطاقة .

أهمية الإقليم في العهد القيصري :

كان الموقع الاستراتيجي الهام لمنطقة القوقاز من أهم الأسباب التي أدت إلى اهتمام القياصرة الروس بالقوقاز ، منذ عهد إيفان الرهيب وبطرس الأكبر ، هذا الاهتمام اختلفت أسبابه وأهدافه عبر التاريخ حسب رغبات القيصر الحاكم ، وكان من أهم الأهداف والاهتمامات التي أدت مجتمعة إلى رغبة القياصرة الروس في ضم القوقاز إلى حكمهم هي أن السيطرة على القوقاز تعطي روسيا القيصرية منطقة عازلة لحدودهم الجنوبية، تفصلهم عن ايران الصفوية في الجنوب الشرقي ، وتركيا العثمانية في الجنوب الغربي ، كما أن السيطرة على القوقاز تعطي الروس قاعدة انطلاق رئيسية نحو الهند ذات الأهمية التجارية والجغرافية الكبيرة لأى امبراطورية عسكرية ذات نزعة توسعية ، هذا بالإضافة

إلى أن السيطرة على القوقاز تسهل الانطلاق نحو آسيا الصغرى والشرق الأوسط لإعادة احتلال القسطنطينية والقدس .

اهتم **ايفان الرهيب** بالقوقاز لأسباب توسعية بحتة ، بينما اهتم القيصر **بطرس الأكبر** والقيصرة **كاترين** الثانية وابنها القيصر بول الأول بالقوقاز كنقطة انطلاق لاستعادة القسطنطينية وإعادة إحياء الامبراطورية البيزنطية القديمة ، وبالتالي احياء الكنيسة الأرثوذكسية التي كانت روسيا القيصرية تتبعها .أما القيصر **الكسندر الأول** ابن القيصر بول وحفيد الامبراطورة كاترين الثانية فقد أظهر حلمه بشكل علني في أن يرى الصليب قد تفوق على الهلال ،أى انتصار الصليبية النصرانية على الإسلام من خلال استعادة القسطنطينية والقدس من أيدى المسلمين ، وحماية نصارى آسيا الصغرى وشرق أوروبا والشرق الأوسط من وحشية واضطهاد الأتراك العثمانيين وإنقاذ هؤلاء من حكم المسلمين وضمهم إلى بقية روسيا كما فعل والده مع جورجيا عام ١٨٠٠م حين استنجد به ملك جورجيا ضد إيران الصفوية التي احتاحت تفليس عاصمة جورجيا عام ١٧٩٥م .

وبدأ القياصرة في ضم القوقاز ، ورغم أن شروعهم الحقيقي في ضم المنطقة قد بدأ في الربع الأول من القرن الثامن عشر في عهد القيصر نيكولاس ، فقدتم الضم النهائي لها إلى روسيا القيصرية عام ١٨٥٩م في عهد القيصر الكسندر الأول ، وقد بدأ التمهيد لذلك منذ عهد بطرس الأكبر من خلال قيامه بحملة في بحر قزوين واحتلال دربند (باب الأبواب)

القوقاز عبر العصور الإسلامية

كانت المناطق الجنوبية من القفقاس عرضة لحملات مختلف الأقوام والشعوب ، فضمتها فارس لفترة من الزمن ، ثم دخلتها جيوش الاسكندر الأكبر المقدوني ، ثم ألحق الفرس الساسانيون أغلب الأجزاء الشرقية إلى إمبراطوريتهم ثانية ، وأعقب ذلك عزم أباطرة القسطنطينية الاستيلاء عليها .

الفتح العربي الإسلامي للقفقاز :

شق الإسلام طريقه إلى شعوب القوقاز منذ الفتوحات الإسلامية الأولى، فبعد انتصار الإسلام على الامبراطورية الساسانية الفارسية بسقوط عاصمتهم المدائن عام ١٦ من الهجرة ، ٦٣٧م وفتح نهاوند الذي يسمى بفتح الفتوح) عام ٢٠ من الهجرة . توجهت الجيوش الإسلامية صوب الشمال ، ولقد اشترك ثلاثة قواد من الصحابة ، في فتح أذربيجان وهم حذيفة بن اليمان ، وسراقة بن عمرو ، وعبد الرحمن بن ربيعة الباهلي ،

ومن بعدهم جاء المغيرة بن شعبة ، والأشعث بن قيس ، ثم الوليد بن عقبة وسعيد بن العاص رضى الله عنهم .

فتح **سراقة بن عمرو** ، باب الأبواب (دربند) في داغستان ٢٢هجرية ٦٤٣م ، وانتشر الإسلام في الإقليم في عهد كل من : عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، رضى الله عنهما ، ووصل المسلمون إلى أرمينيا وجورجيا وأذربيجان وشروان وتوسعوا على السواحل الغربية لبحر الخزر (بحر قزوين) وشمالا إلى بلنجر (استراخان) التى أطلق عليها قديما اسم (آتل) ،وهناك أصيب عبد الرحمن بن ربيعة، وسقط شهيدا عام ٦٥٢م . وصار أخوه سليمان بن ربيعة ، واليا على المنطقة . والجدير بالذكر أن المسلمين قد بذلوا جودا كبيرة في فتح هذه المناطق .

لم يستقر الوضع للمسلمين فى هذه البلاد حيث كانوا في حرب مستمرة مع يهود الخزر ، الذين هاجموا المسلمين في المنطقة أيام الأمويين ، ووجه إليهم يزيد بن عبد الملك بن مروان حملاته ، واستمر الصراع مع الخزر مدة الحكم الأموى والحكم العباسي، واستقر الأمر للمسلمين أيام القوة ، وتدفق العرب للحياة في هذه البلاد ، ورحلت إليها خمسون ألف أسرة من البصرة والكوفة واستوطنوها. وحين ضعف أمر العباسيين غزا يهود الخزر المنطقة عام ٤١٧ من الهجرة ، ودخلوا مدينة تفليس ، ولكن لما جاء السلاجقة وسيطروا على الدولة العباسية دانت لهم بلاد القفقاس والأجزاء الشرقية منها عام ٤٥٩ من الهجرة ١٠٦٦م.

القوقاز في عهدالمغول والتتار :

جاء المغول ودانت المنطقة لهم ، وسيطروا على كل أجزاء القوقاز ، التى كانت من نصيب أسرة جوجى بن جنكيزخان ، فبعد أن أسس جنكيزخان دولته وتغلب على جيرانه ، اجتاح بجحافله شرق أوروبا وأخضع سكانها لهيمنته ، وبعد وفاته تقاسم أبناؤه امبراطوريه شاسعة ، وكانت بلادالقفقاس والبلغار وروسيا من نصيب ابنه الكبير جوجي ، وكانت بلاد الأيغور وتركستان من نصيب ابنه جغطاى .

فتح أبناء جنكيز خان بلاد الروس ، ودخلوا خاركوف وكييف وبساربيا والأفلاج والبغدان (بلغاريا ورومانيا) ثم اتجهوا نحو كرواتيا وبلاد البوسنة والهرسك وألبانيا ، ووصل باتو ابن جوجي إلى تخوم النمسا .

ومع أن اسم المغول قد ارتبط في أذهاننا بالبربرية والفظاظة والقسوة وسفك الدماء وهتك الأعراض وتخريب المدن والقرى ، حتى رفض ابن الأثير كتابة تلك الأحداث بعد أن ظن أنها نعى الإسلام وانتهاء أمره . غير أن هذا الشعب لم يلبث أن دخل الإسلام ، إذ

لم ينقض على اجتياحه بلاد الإسلام أكثر من نصف قرن من الزمان حتى غدا كله مسلما بدافع عن الإسلام وبلاد الإسلام التي سبق له دمرها وأشبعها تخريبا .

أسلم من أبناء جنكيز خان ، السلطان أبو المعالي ناصر الدين بركة خان ، أثناء عودته من بلاده حين التقى بأحد علماء الإسلام في مدينة بخارى ، وأسلم معه عدد كبير من قومه ،وعد نفسه حامي القرآن الكريم والشريعة الإسلامية ، وراسل الخليفة العباسي في بغداد ، وبايعه وهاداه ، ودعا العلماء والفقهاء وأغدق عليهم ، كما وقف يقاتل ابن عمه هولاكو الطاغية الذي ظل وثنيا ، واجتهد في تعويض الإسلام عما لحق به من الأذى على أيدى أجداده. ثم بنى مدينة سراى على نهر الفولجا واستدعى فيها العلماء كى يوقفوا الناس على معالم دينهم ويبصرونهم طريق التوحيد ، ولقد كانت هذه المدينة بحق من أعظم مدن العالم ، كتب عنها ابن بطوطة وأسهب في وصفها وذكر أن فيها ثلاثة عشرمسجدا لإقامة الجمعة ، وأن المغول هم أهل البلاد وأن منهم القفقاز والجركس والروس والروم

ولم يمض على دخول المغول البلاد ، ودخولهم الإسلام أكثر من مائة عام حتى فوجيء الناس بسيل جارف من أبناء عمومتهم التتار ، بقيادة تيمورلنك ، وقد اعتنقوا الإسلام ، ولكنهم فعلوا الأفاعيل بالمسلمين وحرقوا الأخضر واليابس وذاق المسلمون على أيديهم الويلات ، ومع ذلك فقد انتشر الإسلام في عهده في المنطقة وأرسى دعائمه ١٣٨٥م. بشكل نهائي ،لأنه أبدى اهتماما شخصيا بالقضاء على الديانات الأخرى ومنعها في مناطق حكمه ، وأصبح الإسلام فيها ديانة قوية الجذور ، وتأثر الغالب بحضارة المغلوب ، ثم تبناها وعمل على نشرها والحفاظ عليها[1].

---

(١) محمود شاكر ــ موسوعة التاريخ الإسلامى ــ المكتب الإسلامى.